المنهج التاريخي عند محمد ناصر
من خلال كتابه الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية

The Critical Discourse in Dr. Mohammed Nacer's book "Modern Algerian Poetry: Its Trends and Artistic Characteristics"

طالبة الدكتوراة: حليمة عزيز
أ.د. عبد الحميد هيمة

قسم اللغة العربية وآدابها /جامعة قاصدي مرباح -ورقلة
مخبر النقد ومصطلحاته جامعة قاصدي مرباح ورقلة

Walhalima85@gmail.com
hima8075@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/06/30 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص:

في هذا المقال نستعرض جانبا من الخطاب النقدي للدكتور محمد ناصر من خلال كتابه "الشعر الجزائري الحديث –اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)"،الذي أولى فيه أهمية للمناهج السياقية، التي هيمنت على الساحة النقدية في الجزائر منذ بداية الستينيات، وأخص بالذكر المنهج التاريخي الذي اعتده محمد ناصر لقراءة المدونة الشعرية، من خلال التركيز على المعطيات التاريخية المتعلقة بحياة الشعراء الجزائريين وعصرهم، ظروف حياتهم وبيئتهم التي أثرت في إبداعاتهم، واتجاهاتهم الأدبية، وسنحاول هذا البحث التعرف على طبيعة المنهج النقدي عند محمد صالح ناصر، ومدى تمثله الرؤية التاريخية التي اعتنى فيها بدراسة العوامل البيئية التي وجهت الشاعر الجزائري إلى الاتجاه الوجداني في الشعر .

الكلمات المفتاحية: المنهج التاريخي ؛ محمد ناصر ؛ دراسة ؛ الشعر ؛ الجزائر الحديث ؛ اتجاهاته ؛ خصائصه الفنية

Abstract:

This article reviews a brief part of the critical discourse that was discussed by the critic Dr. MOHEMMED NACER (1938) in his book Modern Algerian Poetry: Its Trends and Artistic Characteristics (1925-1975), where he stressed the significance of the contextual approaches that dominated the monetary arena in Algeria since the beginning of the 1960's. This study, In particular, highlights the historical method of Dr. NACER's research of the Historical data. The latter mentioned is related to both the life and the age of Algerian Poets, in addition to their life conditions and their environment which affect their creativity and their literary trends. Significantly, this article aims to identify the nature of the Critical approach in the view of Dr. MOHEMMED NACER in which he represents the historical vision. He, further, gave a huge importance to the study of external contexts. In this context, the Emotional Romantic Algerian Poets faced to adopt the Romantic trend in his book Modern Algerian Poetry (Study of the Media of Romantic Poets in Algeria). (A sample)

key words: Algeria; Dr. MOHEMMED NACER; Emotional Romantic Algerian Poets; Historical approach; Modern Algerian Poetry; pioneering of romantic poetry; study;

توطئة:

تأثر الناقد محمد ناصر بالمناهج النقدية الحديثة التي تولي أهمية كبيرة للسياقات الخارجية المحيطة بالظاهرة الأدبية، "وتمنح الذات المبدعة في بعديها الفردي والاجتماعي مكانة كبيرة في فهم وتفسير الإبداع الأدبي، ويرمي إلى فهم العبقريات الفذة في صلتها بروائعها الأدبية"[1]كون الشعر الجزائري الحديث الذي كان محل دراسة الناقد شأنه شأن الإبداع العربي قد أحاطت به ظروف خارجية ومؤثرات مختلفة أثرت في نتاج شعراءه، جعلت الناقد يعتمد دراسته للشعر على المنهج التاريخي الذي استعان به أغلب النقاد في العصر الحديث باعتباره منهجا يبحث في المعطيات التاريخية المتعلقة بحياة الأديب أو الشاعر وعصره وظروف حياته وبيئته، فيصبح الأدب مرآة تعكس حياة الناس الاجتماعية والنفسية لكنه مرآة تقوم على مبدأ «الاختيار الموجه وتعكس ما يضطر إليه الأديب أو يقع تحت وطأته من انفعالات وما يرتسم على صفحة هذه المرآة متصل بالجماعة من حيث هو صورة لها، ولكنه منفصل عنها ومتصل بالأديب لأنه لا يعكس إلا ما يراه الأديب لا ما تراه الجماعة فالأدب هو في النهاية روح الأديب الذي أنتجه وصورة عقله وقلبه وعصارة طبعه وذوقه»[2].

ومنهجنا في هذه الدراسة سيقوم على (نقد النقد)، من خلال عملية الوصف والتحليل، لبيان مدى التزام محمد ناصر بتطبيق الأصول النظرية، و الأدوات الإجرائية للمنهج، ومن ثم تحديد مدى النجاح أو الإخفاق في تطبيق المنهج، ومن هنا جاءت الأسئلة التي يبحث عنها البحث ، وهي:

1- كيف تمثل الناقد محمد ناصر الرؤية النقدية التاريخية في دراسته للشعر الوجداني الجزائري؟
2- وهل وفق الناقد محمد ناصر في توظيف معطيات النقد التاريخي، وأدواته الإجرائية ؟

ولذلك فإن الفرضية التي تسعى هذه الدراسة لإثباتها هي أن الناقد محمد ناصر قد تمثل المنهج التاريخي في« كتابه (الشعر الجزائري الحديث) الذي تقدم به إلى جامعة الجزائر لنيل دكتوراه الدولة، وهو يعد نموذجا من أرقى مستويات التعامل مع الظاهرة الأدبية»[3]، حيث قام بتحليل النصوص الشعرية الجزائرية، التي تحمل في ثناياها سمات عصر مبدعيه، ومناخهم بيئتهم، وملامح وطباعهم المتباينة عبر مراحله المختلفة، وقام باستنطاق مضامينها اعتمادا على الرؤية التاريخية التي تعتبر« النصوص ثمرة طبيعية لشيئين متفاعلين: البيئة وشخصية الأديب فهو أمام ثلاثة أشياء أدب له خواصه العقلية والوجدانية والخيالية والأسلوبية، وبيئة في ظلها أنشئت النصوص وألفت الكتب، وأديب صدرت عنه هذه المنجزات على أنها أثر مباشر وغير مباشر للزمان والمكان وما يلابسهما من عوامل،، ثم يدرس الجنس وخواصه الموروثة والطريقة ويحدد الفترة الزمانية وما تحقق فيها من مستوى عقلي واجتماعي وثقافي خاص، ولا ينسى الدرجة الفنية ذات الأثر في الأذواق والمواهب»[4]، للعديد من الشخصيات الشعرية في الجزائر من أجل الخروج بالنقد الجزائري الحديث من دائرة الممارسة النظرية إلى الممارسة التطبيقية بطريقة علمية تعتمد المناهج النقدية الحديثة التي تقوم على ربط النص الأدبي بمؤلفه الذي تأثر بذلك العصر ومحيطه، باعتبار« النص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ، فإذا النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته»[5]، ورغم محدودية الثقافة الأدبية والنقدية الحديثة في فترة الستينيات لدى معاصريه من النقاد الجزائريين فقد استطاع هذا الناقد المتزن في دراسته لمضامين الشعر الجزائري أن يستفيد من روح العلم ليتحدث عن الشعراء وحياتهم وظروفهم، مع الاحتفاظ بطبيعة القيمة الفنية التي تمتاز بها من الداخل.

وقبيل الولوج في صلب الموضوع والحديث عن تجليات المنهج التاريخي في خطاب الناقد محمد ناصر*، ينبغي أن نعرف بشخصية الناقد الدكتور محمد صالح ناصر المولود بالقرارة بمزاب (غرداية) في

الجزائر في عام 1938م، فهو شخصية قل أن يجود الزمان بمثلها، إنه الأديب والشاعر، والمفكر والمؤرخ والمفسر والناقد والمحقق في آن واحد، نظم الشعر منذ نعومة أظافره بعد أن حفظ كتاب الله العزيز واستظهره بالمسجد الكبير بالقرارة سنة 1954م، اشتغل أستاذا بالجامعة الجزائرية، وقام بتدريس مقاييس تتعلق بالأدب والنقد مثل: الأدب الجاهلي، الأدب الإسلامي، والأدب العباسي، والأدب الجزائري الحديث، التيارات الأدبية الحديثة، وهو أحد أقطاب جيل الستينيات في النقد الجزائري الحديث، فقد أثرى المكتبة الجزائرية والعربية بالعديد من المؤلفات في الأدب والنقد أهمها: كتاب الشّعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975م)- كتاب المقالة الصحفية الجزائرية (1903-1931م)- كتاب حداثة أم ردّة.

علاقة التاريخ بالنقد:

إن العلاقة بين الأدب والتاريخ وثيقة للغاية فهي قائمة على مزج الصور الأدبية بالحقائق التاريخية، وهذه العلاقة يؤكدها « أن موضوع التاريخ هو الماضي، ماض لم تبق منه إلا أمارات، أو أنقاض بواسطتها يعاد بعثه، وموضوعنا نحن أيضا هو الماضي ولكنه ماض باق، فالأدب من الماضي ومن الحاضر معا»[6]، فهي علاقة تكامل بين الطرفين تربطهما الممارسات الفكرية الإنسانية باعتبار أن الإنسان هو الموضوع المشترك لكل من الأدب والتاريخ، ولعل خير ما يمثل هذه العلاقة بين الأدب والتاريخ "الشعب اليوناني الذي تناول تاريخه عن طريق الحكاية الشعبية التي انتجت لنا الأسطورة أي أصبح هناك تداخل بين التاريخ والأسطورة تتناقله الأجيال عن طريق الحكاية التي نقلت إلينا (الإلياذة والأوديسا)، وهما بمثابة مصادر تاريخية أصلية، لأنهما وصفتا المعارك الحربية ومعتقدات الشعب اليوناني في ماضيه القديم ولذا فقد ارتبط التاريخ اليوناني بالأدب بواسطة الشعر والملاحم بالمعتقدات الدينية التي ألهمت خيال الشعراء وخلدت أعمالهم التاريخية "[7]، أما في النقد الأدبي الحديث فقد وثقت الصلة بين النقد والتاريخ وشتى العلوم الإنسانية التي حين اسهمت نظريات النقد العلمي في إرساء الأسس النظرية التي قام عليها المنهج التاريخي الذي ينطلق من مبدأ "الإنسان ابن بيئته"[8]، ويقر بأن مؤرخ الأدب يرى « نصوصه ثمرة طبيعية لشيئين متفاعلين: البيئة وشخصية الأديب فهو أمام ثلاثة أشياء أدب له خواصه العقلية والوجدانية والخيالية والأسلوبية، وبيئة في ظلها أنشئت النصوص وألفت الكتب. وأديب صدرت عنه هذه

الإنجازات على أنها أثر مباشر وغير مباشر للزمان والمكان وما يلابسهما من عوامل...ثم يدرس الجنس وخواصه الموروثة والطريقة ويحدد الفترة الزمانية وما تحقق فيها من مستوى عقلي واجتماعي وثقافي خاص، ولا ينسى الدرجة الفنية ذات الأثر في الأذواق والمواهب»[9]،فالأديب في نظر مؤرخ الأدب هو ذلك الإنسان الذي يرث من شعبه تلك الصفات والعوامل الوراثية التي تخلق الفوارق بين الشعوب، ولهذا يلجأ الناقد التاريخي إلى دراسة "الأفراد وظروفهم وأمزجتهم وعواملهم الشخصية. ويجب أن نفرز الفرد من المجموع وأن يعرف ما هو فردي وما هو جماعي، ليكون حكمه أقرب إلى الصواب"[10]،وبهذه التعريفات نصل إلى تحديد مفهوم النقد التاريخي عند الدكتور صلاح فضل الذي يرى أن المنهج التاريخي يقوم: « على دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي إليه الأدب، ويتخذ منها وسيلة أو طريقا لفهم الأدب وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه وغوامضه»[11]، فهو منهج يعتمد فيه الناقد على تحليل النصوص الشعرية من خلال استحضار سياقاتها التاريخية والاجتماعية والنفسية المتعلقة بحياة المبدع وجنسه وبيئته من أجل الاقتراب النص.

المنهج التاريخي في النقد الغربي والنقد العربي:

يعد المنهج التاريخي في النقد الأدبي هو أول منهج نقدي في العصر الحديث، تجلى في الساحة النقدية بظهور الرومانسية في القرن الثامن عشر في الأدب الأوروبي التي أحدثت تحولا لافتا في المشهد النقدي عند الغرب، حين تمرد روادها على الفكر الكلاسيكي والتراث اليوناني القديم، واستبعاد كل تفكير لا يستمد عناصره من الحس والتجربة ورفضت القضايا الميتافيزيقية، وتوافقت مع ظهور "الفلسفة الوضعية وما ارتكزت عليه من مناهج علمية في تفسير الظواهر الطبيعية،وقد أعطت هذه الثورة منهجا في التعامل مع الأدب يعرف باسم المنهج التقليدي وتجسده أعمال كثيرة منها، في التجربة الفرنسية، على سبيل المثال أعمال سانت بوف/CharleAugustin Sainte Beuve(1804-1869) وهو من رموز النقد العلمي الذين جعلوا التاريخ ركيزة في تحليل الأثر الأدبي والولوج إلى غاياته ويمثل الناقد الفرنسي الشهير سانت بيف ركيزة مهمة في تاريخ النقد الأدبي الحديث فقد ركز في دراساته على شخصية الأديب تركيزا مطلقا

إيمانا منه بأنه «كما تكون الشجرة يكون ثمرها، وأن النص تعبيرا عن مزاج فردي، لذلك كان ولوعا بالتقصي لحياة الكاتب الشخصية والعائلية، ومعرفة أصدقائه وأعدائه وحالاته المادية والعقلية والأخلاقية، وعاداته وأذواقه وآرائه الشخصية وكل ما يصب فيما يسميه "وعاء الكتاب" الذي هو أساس مسبق لفهم ما يكتبه ونقده »[12]، فهو يدعو إلى الاهتمام بالأديب لأنه يؤمن بما يسميه التاريخ الطبيعي لفصائل الفكر الإنساني لفهم وتفسير الإبداع الأدبي،" أما الناقد الثاني فهو هيبوليت تين/ (H. taine 1828-1893) صاحب ثلاثيته الشهيرة (العرق-البيئة – الجنس) التي أثرت في مسيرة النقد الأدبي الحديث باتجاهه التجريبي، في شرح أسباب اختلاف النتاج الفنّي لمختلف الأجناس البشرية، حين أرجعها إلى ثلاثة أسباب: الجنس والبيئة، وتأثير الماضي على الحاضر وكان لهذا القانون في حينه تأثير عظيم في النقد الأدبي في مختلف آداب أوروبا"[13]، فقد دعا إلى نقد الأدب "نقدا علميا" يعتمد على ربط العمل الأدبي بصاحبه، وتفسّيره في ضوء معرفة سيرته وحياته وخاضعة لعوامل أخرى خارجية، تساهم في تشكيله، وهي عوامل تاريخية جبرية سمّاها الناقد "الجنس، والبيئة والعصر"، ورأى أن الأديب محكوم بهذه العوامل الحتمية، خاضع لها، وهي سبب تكوينه على شاكلة معينة، ولذلك لم يقتصر تين –كما فعل سانت بيف-على دراسة حياة الأديب فقط، بل حاول أن يدرس جنسه وبيئته وعصره. ويقصد بالجنس تلك الصفات الوراثية التي اكتشفها الأديب من شعبه، وقد حمله ذلك على الزعم "أن اليونانيين القدماء ومعظم الأوروبيين الجدد يتمتعون فيما بينهم بتكوين عقلي يجعلهم يختلفون عن الصينيين والساميين"[14]،ويقصد من هذا أن الدراسة العمل الأدبي له ارتباط وثيق بالبيئة التي أنتجته وأحداث عصره الذي ظهر فيه وشخصيته المبدعة الذي ابدعته، فكان لابد للناقد التاريخي أن يتعرف على تفاصيل حياة صاحب النص وأطوارها المختلفة.

وفي بداية القرن العشرين تبلور المنهج التاريخي في الأوساط العلمية والأكاديمية عند الأستاذ غوستاف لانسون /GustaveLanson (1857-1934) و" الذي اعتبر من أكثر الأساتذة الذين أثروا في النقد العربي، ويكفي أن نعد من تلاميذه على الأقل طه حسين من الجيل الأول من نقادنا العرب، ومحمد مندور من الجيل الثاني، وثانيهما أن لانسون في كتابه "منهج البحث في الأدب" قد حدد الخطوط الأساسية للمنهج التاريخي في النقد الأدبي"[15]، واجتهد في الجمع بين الأدب وعلم التاريخ بمعناهما المتعارف عليه الآن في القرن التاسع عشر بين أحضان الفلسفة الوضعية أبنة

الفكرالفلسفي الألماني ويتجلى الأثر البديهي للفلسفة الألمانية في تاريخ الأدب من عقليتها الأصولية التي زودته بها، وصادف هذا اللقاء بين الأدب وعلم التاريخ تطور التعليم العالمي في فرنسا في أواخر القرن العشرين، وظهور نمطين من النقد:الأول جامعي موجه إلى الطلاب، والأستاذ همه جرد الماضي، والثاني صحافي همه متابعة الحاضر الأدبي.[16]

«وأن العلوم التجريبية هي التي تمدنا بالمعارف اليقينية وأن الفكر الإنساني لا يستطيع أن يعتصم من الخطأ إلا بعكوفه الدائم على التجربة وبتخليه عن كل أفكاره الذاتية السابقة»[17]، فهو يضع الناقد نفسه موضع الكاتب و "يدعو إلى دراسة الأدباء دراسة علمية تقوم على البحث والتفصيل في حياة الأديب يميّز فيها بين الفردي والجماعي ليظهر في النهاية علاقاته ببنية النص، وتأثير الجماعة عليه من جانب آخر."[18]

وفي نهاية الربع الأول من القرن العشرين ظهرت في الساحة النقدية ثلة من النقاد العرب الذي استفادوا من معطيات المنهج التاريخي على يد رموز المدرسة الفرنسية، وقد ساهموا في إثراء النقد العربي الحديث، أبرزهم الدكتور أحمد ضيف (1880-1945) الذي يقر في كتابه "مقدمة لدراسة بلاغة العرب" أن مناهج الدراسة الأدبية السائدة في مصر تحتاج إلى تغيير، وكان تبشيره بهذا المنهج الجديد، وعقد أحمد ضيف فصلا بعنوان "النقد الادبي في فرنسا " تحدث فيه عن الجوانب النظرية المنهج التاريخي.. ويتفق ضيف مع "سانت بيف" في مذهبه ويراه أعدل المذاهب وأقربها إلى الطريقة الأدبية"[19]، أما الناقد عباس محمود العقاد فقد كان له الصدى القوي للمنهج التاريخي في كتابه "ابن الرومي حياته من شعره" في حصاد الهشيم الذي اهتم فيه بمسألة العرق، ليثبت من خلال رؤيته التاريخية أن عبقرية ابن الرومي يونانية في قوله: وما من شك في أن الشاعر الذي تحدر من أصل يوناني أيا كان مقره، غير الشاعر الذي تحدر من أصل عربي أيا كان مقره"[20]، ابن الرومي مما جعل الناقد طه حسين (1890-1965) الذي اعتبر من أغزر النقاد العرب اعتمادا على المنهج التاريخي حين استفاد في دراساته الجامعية حول أبي العلاء المعري من أراء "سانت بيف" في دراسة شخصية المبدع معتمدا على المقياس الأدبي، فقد علق بقوله حول الاهتمام العقاد بشخصية المبدع بقوله:" العقاد وقف عند شخصية ابن الرومي أكثر مما يقف عند الجمال والتحليل الفني، والظاهر أنه كلف نفسه كلفا خاصا بشخصيات الشعراء، أما أنا فربما عنيت بالشعر أكثر عنايتي بالشعراء. وربما اتخذت الشاعر وسيلة إلى فهم الشعر"[21]، وعلى أيدي هؤلاء

الرواد العرب وغيرهم أمثال (محمد مندور، وسهير القلماوي، وشكري فيصل...) ممن استفادوا مباشرة من النقد الغربي الحديث وغيرهم منذ الستينيات ترسخت مبادئ المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث.

أما في الجزائر فتعود البدايات الأولى للنقد الأدبي الحديث في الجزائر إلى فترة الستينيات؛ وبداية السبعينيات من القرن العشرين، على يد النقاد الجزائريين الذين اتصلوا بالثقافة المشرقية واستفادوا من انجازاتها النقدية التي كان لها أثر كبير في تطور حركة النقد العربي عامة والنقد الجزائري الحديث خاصة على يد النقاد الرواد الذين انفتحوا على المناهج النقدية الغربية عن طريق الترجمة والاحتكاك المباشر، وعن أول الدراسات النقدية في الجزائر يقول الناقد يوسف وغليسي «أن النقد التاريخي هو البوابة الأولى التي فتحت الخطاب النقدي الجزائري عينه عليها ابتداء من مطلع الستينيات من هذا القرن سنة1961م من خلال الدراسة الأكاديمية للناقد أبو القاسم سعد الله (1930-2013م) "محمد العيد آل خليفة "الذي جمع فيه بين الأدب والتاريخ »[22]، فقد اطلقت هذه الدراسة الممنهجة أطلقت النقد الجزائري من عقاله وفكت عنه حبسته التقليدية، كما نجده عند الدكتور صالح خرفي الذي كان من أنصار المنهجية التاريخية في بحثه "الشعر الجزائري الحديث "غير أن النقاد عابوا عليه بأنه كان مؤرخا خالصا أكثر منه ناقدا للشعر الجزائري الحديث، أما الدكتور عبد الله الركيبي ففي كتابه "الشعر الديني الجزائري الحديث" الذي أقر فيه بأن «الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومفاهيم...»[23]، فقد اصطدم في دراسته حول الشاعر الرومانسي مبارك جلواح "بصعوبة تمثل البيئة التاريخية والاجتماعية وكشفت عن عجزه الإجرائي الكبير وفضح قصور النقد التاريخي عن استيعاب مثل الشخصية الشعرية المجهولة بين معاصريها الذين لا يكادون يعرفون عنه شيئا.

وكان أنسب على الناقد اختيار المنهج الفني لأن العنصر التاريخي المساعد يكاد يكون معدوما ولأن المنهج التاريخي قد لا يكون كافيا في دراسة شاعر مجهول مثل الشاعر مبارك جلواح"[24]، أما الناقد عبد الله حمادي ففي كتابه "مدخل إلى الشعر الإسباني المعاصر" الذي حاول أن يبعث فيه حياة الشعراء الذين عاشوا في الأندلس انطلاقا من دراسة أشعارهم، وعبد الملك مرتاض فقد أعجب بالنقد التاريخي في أولى مراحل تجاربه النقدية.

أما عند الدكتور محمد ناصر الذي تقدم بخطوة أبعد في بلورة الرؤية النقدية التاريخية على مستوى الممارسة التطبيقية في الجزائر ويدل ذلك اهتمامه الخاص بنقد الشعر حين خصص للمنهج التاريخي بابا مميزا من كتابه "الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية من 1925إلى1975"تتبع فيه مراحل تطور الشعر انطلاقا من تبنيه هذه الرؤية النقدية التاريخية التي اكتسحت الساحة النقدية في الجزائر منذ بداية الستينيات مع تلك الجهود النقدية المبكرة التي «بذلها كل من الدكتور بن صالح خرفي وعبد الله الركيبي في مجال دراسة الشعر الجزائري ودورهما الرائد في تمهيد الطريق الصعب، غير أن تلك الدراسات في نظره ستظل في حاجة إلى دراسات أخرى تعززها وتتكامل معها»[25]، ويقر الناقد بأن المنهج التاريخي قد أخذ مساحة كبيرة في بدايات النقد الجزائري الحديث، فيقول «أما التأريخية فهي صفة جاءت من الظروف التي مر بها الأدب الجزائري في مرحلة ما بعد الاستقلال، فقد وجد هؤلاء أنفسهم أمام فراغ هائل، وكان عليهم أولا أن يحصلوا على المادة الخام قبل القيام بدراسة نقدية موضوعية .. فإن ما قدم أولئك الرواد من كتابات يغلب عليها الطابع التاريخي كان خطوة طبيعية تعد مدخلا إلى الدراسات النقدية»[26]، التي أسست وجدّدت مسارات الخطاب النقدي في الجزائر بعد الاستقلال، وفتحت الباب على مصراعيه أمام الدكتور محمد ناصر فقد خصص في كتابه الشعر الجزائري الحديث بابا خاصا تمثل فيه «دراسة النفس الانسانية والحضارة القومية في مظاهرها الأدبية في تلك المظاهر قبل كل شيء»[27]معتمدا المنهج التاريخي الذي يدعو إلى دراسة شخصية الشاعر الجزائري في مظاهرها الأدبية، ومدى تمثل للاتجاه الرومانسي الوجداني.

الشاعر الجزائري الرومانسي:

بحث الناقد محمد ناصر في كل ما يتعلق بالشاعر الجزائري الذي لم يكن بمنأى عن التحولات السياسية العنيفة التي تعرضت إليها الجزائر في فترة الثلاثينات «طبقا لقوانين النشوء والارتقاء والتطور، والانتقال من المراحل البدائية إلى المراحل الأكثر تقدما»[28]ليصب اهتمامه بالشعراء الجزائريين المبدعين الذين ثاروا على تقاليد الشعر العربي القديم مستندا في بحثه على قوانين المنظور التاريخي في نقد الشعر الجزائري الحديث وربطه «بروح المبدع الذي أنتجه وصورة عقله وعصارة طبعه وذوقه»[29]، التي خلقت رواد الاتجاه الرومانسي الوجداني بنزعتهم المتحررة مخالفين

نهج الشعراء التقليديين المحافظين، متأثرين في ذاك برواد هذه الحركة الأدبية التجديدية العربية والتيارات الغربية من خلال مجموعة من المدارس الأدبية التجديدية (جماعة الديوان، والرابطة القلمية وجماعة أبولو)، ومن خلال الاطلاع على المجلات ...، فيقول الناقد: «عندما اتصلنا بالثقافة الوافدة من تونس والمشرق، وعاد الطلاب، وبدأت الحركة العلمية والثقافية بعد سنة 1925م، وجدنا أن الأديب الجزائري قد تطور تطورا معتبرا، لأنه حاول أن يخضع الأدب لظروف وطنه وبلاده، وواقعه، فكان المضمون يعبر عن اهتمامات الجزائري في جميع مناحي الحياة »[30]، ومن هذا المنطلق التاريخي انطوت هذه الدراسة التي قام من خلالها الناقد بالبحث عن أهم المحطات التي شكلت البعد الثقافي في حياة ألمع الشعراء الرواد الذين ساهموا في ظهور الاتجاه الوجداني الرومانسي في الشعر الجزائري الحديث:

أ- الربط بين رؤية المبدع والظروف السياسية والثقافية بعد الحرب العالمية الأولى:

اجتهد الناقد محمد ناصر من خلال دراسته التاريخية في"الربط بين رؤية المبدع والبيئة بالظرف السياسي والثقافي بعد الحرب العالمية الأولى، والذي ساهم في تشكيل الاتجاه الرومانسي الوجداني لدى بعض الشعراء ليبّين أن البداية الحقيقية للرومانسية كانت نتيجة تأثر الشعراء بأحداث الحرب العالمية الأولى التي مست جوانب المجتمع الجزائري وبرزت «مع بداية الوعي بالواقع الاجتماعي والسياسي، فإن الأوضاع المؤلمة التي فرضها المستعمر آنذاك تعد مؤثرا أساسيا في طغيان مشاعر الحزن والكآبة التي لونت الشعر آنئذ، حتى غدت طابعا عاما يميز أغلب الإنتاج الشعري الذي ظهر في العشرينيات..»[31]، فقد ساهمت هذه الأوضاع الاجتماعية في توجيه نتاج « الشعراء الرواد أمثال محمد الأمين العمودي، السعيد الزاهري، محمد العيد، رمضان حمود) " الذين حاولوا أن يطوروا في شكل القصيدة، فأصبحت بذلك تختلف عن القصيدة التي كتبت قبل الحرب العالمية الأولى...هذا الذي جعلني أرجح بأن الحداثة ارتبطت بالنهضة الثقافية الشاملة التي واكبت الحركة الاصلاحية انطلاقا من النص قبل كل شيء»[32]ويتفق الناقد في هذه الرؤية مع الناقد محمد مندور الذي يرى أن «دراسة النفس الإنسانية والحضارة القومية في مظاهرها»[33]، ويستشهد الناقد برأي الشاعر محمد العيد الذي عبر عن حال الشعراء: «..كنا إلى أمد غير بعيد ننظر إلى هذه الحياة الدنيا في هذه البلاد الجزائرية نظرة اليائس...أما اليوم، واليوم غير الأمس، أما اليوم وقد بدت طلائع النهضة، وطوالعها في الجزائر وتجلى فيها نور نهار الإصلاح، وأشرق مد نور العلم،

وأصبحنا بفضل الله نستقبل عصرا جديدا، ونبعث من مراقدنا بعثا جديدا...»[34]، فعلى الرغم من تمسك شعراء تلك الفترة بالنزعة المحافظة التي عرف بها شعراء الحركة الاصلاحية فقد استطاع بعض الشعراء أن يستجيبوا ويتفاعلوا مع بعض الاتجاهات التي تعتبر جديدة آنئذ كالاتجاه الوجداني الرومانسي، وارتمت بوادر الحركة الرومانسية المحتشمة في أحضان الشاعر الإصلاحي الذي بذر بذورها الأولى في الشعر الجزائري الحديث واستجاب إلى عالم الذات والطبيعة والجمال والخيال ليعبر عن الظواهر الاجتماعية المتخلفة التي كانت تعيق حركة الشعر الاصلاحية (الطرقية، الجهل التقاليد البالية، الاستعمار..)، مما جعل بعض الشعراء يبحثون عن عوالم وجدانية تجدّد الشعر الجزائري الحديث، ويقول الناقد في ذلك: «إن ما حرك مشاعر الإحساس بالذات، والثورة على الظلم في نفوس الشعراء الجزائريين وخيبة أملهم في مواعيد السلطات الفرنسية الكاذبة والآلام التي كان الشعب الجزائري قاطبة يعاني منها .. »[35]فقد تجاوب هذا التيار الرومانتيكي مع ظروف الشعراء الجزائريين السياسية والاجتماعية، وقد جاء أول مظهر للاتجاه الرومانسي مع الشاعر الثائر رمضان حمود الذي نهج في شعره نهج الشعراء الرومانسيين الرواد في الشرق والغرب، فثار على تقاليد عصره حين نقد شعر أحمد شوقي، نادى بالحرية والانطلاق من أسر قيود، أساليب معاصريه الشعرية والتحرر من قيود الاوزان المألوفة، وكانت ثورته جريئة حقا، وما قصيدته يا قلبي إلا دليل على ...الذات الرومانسية ذلك حسب قول الناقد محمد ناصر:" وقد استمر رمضان في محاولاته هذه التي توجها بقصيدته التجريبية "يا قلبي" التي حاول أن يطبق فيها دعوته إلى التحرر من الشكل التقليدي الصارم سنة 1928 م على أساس ذاتي وجداني تستجيب لروح العصر والواقع قبل أي اعتبار آخر"[36]، فقد اشاد النقاد بعبقرية الشاعر رمضان حمود حين صنفه في طليعة الشعراء الجزائريين المتأثرين بالاتجاه الرومانسي، وبالفعل عاش رمضان حمود تلك الفترة حتى موته سنة ظاهرة فردية برؤية واضحة حول دعوته للتغيير ومساهما في تكوين الاتجاه الرومانسي في الشعر الجزائري الحديث حين تحدث عن الظروف الاجتماعية والثقافية التي صاحبت مراحل حياته، جعلته يتبنى الاتجاه الرومانسي فقد نشأ الشاعر رمضان حمود في بيئة صحراوية محافظة "وقضى أربعة أعوام كاملة في حفظ القرآن، فلم ينل في النهاية غير سور مرسومة في دماغه، لا يفقه منها شيئا،...فقد كان يحضر بجسمه، ولكن قلبه غائب..."[37]، فمن الواضح أن إبراز دور البيئة الصحراوية دورا ملحوظا في صبغ موهبته الشعرية الرائدة وطبع

قصائده ذات النزعة التجديدية بمناخ وجداني خاص يعكس حضور القرية والنخيل والمياه ويفجر أحاسيسه في صور طبيعية ملهمة، تعبر عن أحاسيسه وميولاته الشخصية بعيدا عن التكلف والتقليد، فحديث الناقد عن دور البيئة في صقل موهبة الشاعر هو من ضميم المنهج التاريخي.

كما يرى الدارس لمنهج الناقد محمد ناصر التاريخي أنه حاول تفسير أسباب ضعف الاتجاه الرومانسي في ظل الحركة الاصلاحية التي حددت المجال أمام الشاعر فلا يجد فرصة للتجديد والإبداع وإبداء عبقريته حين "بالغت في تحكيم النظرة الأخلاقية في الفن، وجنت على الشعر الجزائري وحرمته من إبداعات الشعر الذاتي العاطفي، وقصت أجنحة الشعراء فلم يستطيعوا التحليق في أجواء المشاعر النفسية الجامحة"[38]، ولكن الشاعر رمضان حمود استطاع رغم تلك الظروف السياسية والثقافية الخانقة—حسب قول الناقد- أن يزعم بجدارة حركة التجديد الشعري في الجزائر، وليس على مستوى التطبيق وحسب بل أيضا على مستوى التنظير" رغم أن عصر رمضان حمود مما دفع إلى يأس الشعراء من الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي كانوا يعيشونه، عاشه الشاعر، كان عصر استمساك بالسلفية في كل شيء، وكان الأدباء حوله ينظرون إلى اللغة العربية نظرة تقديس،" إلا هذا أن الروح الثائرة المتمردة ووعيه المبكر وإدراكه في سن مبكرة لأزمة الشعر الجزائري في زمنه فقد نظر إلى أبعد الحدود حين أعتبر الشعر تعبير عن العواطف والمشاعر المتدفقة في اشعاره الرومانسية حين وصف في إحدى " قصائده "جمال الكون وبدائعه" مشاهد الطبيعية اعتمادا على مخيلته، رغبة منه في الافصاح عن مشاعره "[39]، فقد طبق الناقد في دراسته لرمضان حمود الذي عدّه رائد الاتجاه الرومانسي الوجداني رغم تلك العوامل السياسية والثقافية التي كانت لها من الشدة والضيق التي جعلت نفوس الشعراء ضعيفة ومستسلمة، لكل رغبة في التجديد والتغيير، إذ جعل من عبقريته ونبوغه بين معاصريه، وتتبع الظروف السياسية الثقافية وموقفه الذاتي منها، وهذا يدل على تبني الناقد للرؤية التاريخية التي تدعو إلى دراسة الشعراء في ظل الحتمية التاريخية التي نبغوا فيها.

ب- ربط الناقد بين حياة المبدع الجزائري وحياة النص:

وكعادة أصحاب النقد التاريخي عمل الناقد على الربط بين حياة المبدعين الجزائريين وحياة النص الأدبي والبيئة التي نبغوا فيها، ليشير إلى أن الشعراء الجزائريين الذي أتيحت لهم فرصة الاطلاع على الشعر العربي الرومنسي الذي اعتبر حسب قوله: "أما المصدر العربي وهو الأقوى،

فإنه يتمثل في اتصال الشعراء الجزائريين منذ بداية النهضة الأدبية بالشعر الوجداني الرومانسي وافدا من المشرق العربي أو من المهجر الأمريكي، وظل كل عن طريق ما يصلهم من كتب ومجلات عن طريق مباشر حينا أو عن طريق تونس أحيانا أخرى...بحكم تواجد أغلب الشعراء الشباب للدراسة بتونس، والمشرق العربي حيث هيأت لهم فرصة الكافية للاطلاع على التجارب الأدبية، والاحتكاك بالمدارس النقدية عن قرب.."[40]..، فقد تسربت مبادئ ومفاهيم الرومانسية إلى النقد والشعر الجزائري عن طريق تأثر جيل الشعراء الشباب أمثال أحمد الغوالمي، والطاهر بوشوشي، ومحمد عبد القادر السائحي، وأبو القاسم خمار، ومحمد صالح باوية، وأبو القاسم سعد الله الذين تأثروا بإنجازات ثلاث مدارس أدبية هي مدرسة الديوان، ومدرسة المهجر، ومدرسة أبولو الرومانسية في فترة ما بعد الحربين العالميتين حاملين تصورا جديدا للشعر الجزائري الحديث، ليبنوا على أساس القصيدة الوجدانية الرومانسية قصيدة الشعر الحر «لأن جيل الشباب الذي ظهروا على المسرح الشعري بعد الحرب العالمية الثانية، كانوا أكثر التفاتا إلى هذا الشعر من شعراء الجيل السابق. وليس أدل على هذا من إعجاب بعضهم الواضح بنزعة جبران الثورية التجديدية..»[41]، خاصة بعد تدهور الظروف السياسية والاجتماعية التي عصفت ببنية المجتمع الجزائري بعد أحداث الحرب العالمية الثانية في الجزائر، والتي اثرت في نفسية الشاعر الجزائري الحديث، الذي راح يبحث ذاته في وسط هذا العالم القاتم، ومن الشعراء الجزائريين الذين تميز شعرهم بالروح الرومانسية الشاعر أبو القاسم سعد الذي عدّه الناقد محمد ناصر من رواد الشعراء الذي خضع في تكوينه الشعري إلى مؤثرات الأدب المهجري، وقد استوعب هذه الثقافة الأدبية وتمثلها في شعره الوجداني الرومانسي، فيقول الناقد في ذلك " الشاعر أبو القاسم سعد الله هو رائد الاتجاه الرومانسي في الجزائر فقد كان «متأثرا بالأدب المهجري وهو يعد تجربته الرائدة الاطلاقة الأولى للشعر الرومانسي في الشعر الجزائري، فيقول الناقد "وتعد تجربة الشاعر الرائدة في الشعر الحر الرومانسي في بداية الخمسينيات وبالتحديد مع ظهور أول تجربة لابي قاسم سعد الله في سنة 1955...متمثلة في "قصيدة طريقي" التي كانت أشبه بقصائد المهجريين المتراوحة القوافي، شأنه في ذلك شأنه في ذلك الشعراء العرب الرواد في التجديد من أمثال السياب الذي سيطرت عليه القافية في تجاربه التي نهج فيها نهج القصيدة الحديثة من الشعر الحر"[42]،...وتظل تجربته الشعرية «في قصيدة "طريقي" ترسم تحولا واضحا في التشكيل الموسيقي في القصيدة

الجزائرية لأن صاحبها تعمد إحداث هذا التغيير وسعى إليه بغية الخروج على الطريقة الكلاسيكية التي استحوذت على اهتمامات الشعراء الجزائريين على الأغلب الأعم »[43]وظلت تلك التجربة الشعرية الرائدة للشاعر أبو القاسم سعد الله متفردة بعالمها الشعري سواء في مظهرها الرومانسي أو مضمونها الوطني الثوري الذي يتماشى ومتطلبات الشاعر الرومانسي الجزائري، ويستمر الناقد في تتبع خطرات المنهج التاريخي الذي يرمي إلى البحث عن الظروف التي أوجدت ملامح الاتجاه الرومانسي الوجداني أولها الثقافي والمتمثل في قوله: «من أهم العوامل التي دفعته إلى التجديد حيث يتحدث عن صلة جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية بأدب المهجر...إن بعض الطلاب عندئذ مولعين بحفظ قصيدة 'الطلاسم" لإيليا أبي ماضي...فنغمة تلك القصيدة وإن كانت فلسفية، صادفت هوى الثورة والجموح على الحاضر المريض الذي كان يعيشه الشباب عموما، وخصوصا الشباب الجزائري المحروم من كل شيء، وقد قرأت هذه القصيدة وحفظتها، كما قرأت لجبران خليل جبران كل كتبه تقريبا ثم توالت اهتماماتي بالشعر المهجري وبشعر أبولو، خصوصا شعر أحمد زكي أبو شادي »[44]، فالشاعر الرومانسي الجديد لا يمكنه أن ينظم قصيدة عن الحرية إذا لم يكتبها وفق النمط الحرن ذلك أن الشكل العمودي التقليدي لم يعد قادرا على استيعاب المضامين الشعرية الحديثة التي تتوق غل التعبير عن آمال وطموحات الشباب الجزائري المحروم، الذي كان يبحث عن هذه النزعة الهروبيّة من الواقع الفاسد إلى أحضان الطبيعة فاهتموا بالخيال أكثر من اهتمامهم بالواقع والحياة، ونزوع نحو الحرية من قيود الشعر العربي القديم فهجروا اللغة الجزلة و تخلوا عن وحدة البيت وتبنوا نظام التفعيلة الجديد، وهذا ما أكده الناقد أن في دراسته الشاعر أبو القاسم سعد الله قد تحدث «عن الدوافع الموضوعية التي جعلته يبحث عن قالب شعري جديد يتجاوب مع ما يشعر به داخل نفسه من "ثورة، ورفض، وتمرد" فيقول: كنت أتابع الشعر الجزائري منذ 1947، باحثا فيه عن نفحات جديدة، وتشكيلات تواكب الذوق الحديث، ولكنني لم أجد سوى صنم يركع أمامه كل الشعراء بنغم واحد، وصلاة واحدة، غير أن اتصالي بالإنتاج القادم من الشرق، ولا سيما لبنان، واطلاعي على المذاهب الادبية، والمدارس الفكرية، والنظريات النقدية، حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر...»[45]فقد بدأ الشاعر يكتب الشعر الرومانسي وكان يركن إلى قصائد الشعراء الرومانسيين العرب الرواد سواء في المشرق او المغرب العربي خاصة تونس، أما عن تكوينه في تونس فيذكر الناقد أن من أهم

العوامل التي ساهمت في اختيار الشاعر أبو القاسم سعد الله لهذا الاتجاه الوجداني الرومانسي فيقول:« من اهم العوامل في اختباره الشعر الحر أثناء توجده بتونس، تعرفه على بعض الأدباء والشعراء الشباب التونسيين، وتكوينهم معا رابطة أدبية أسموها "رابطة القلم الجديد" يدور الحديث فيها عن الانتاج الأدبي، وما تنشره المجلات والجرائد في ميدان الشعر الجديد»[46]، وقد مهد الشاعر أبو القاسم سعد الله الطريق أمام معاصريه ولاحقيه من الشعراء الجزائريين للانفتاح على التيارات الأدبية التجديدية في الوطن العربي وعلى رأسها الاتجاه الرومانسي الوجداني في الشعر الجزائري الحديث، وهذه المؤثرات التي أحاطت بحياة الشاعر أبو القاسم والتي رصدها الناقد في دراسته التاريخية لحياة الشاعر من خلال نصوصه الشعرية هي منطلق الرؤية التاريخية في البحث والنقد.

ت- تجسس الناقد محمد ناصر على الحياة الثقافية المحيطة بالمبدع الجزائري المعاصر:

ويستمر الناقد محمد ناصر في تتبع تطور حياة الشاعر الرومانسي في الجزائر الذي كان يمر بمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية الحرجة التي مسّ فيها التجديد والثورة جميع الميادين الحياتية في الجزائر ومنها الشعر والنقد، واتكئ الناقد على معطيات الرؤية التاريخية التي تصر على التجسس على حياة الشعراء الجزائريين الذين كانوا يجذبهم الجديد المعاصر إلى المستقبل حيث التقدم والحضارة، حيث يرى الناقد أن من المؤثرات التي ساهمت في ظهور الشعراء الرومانسيين في الساحة الأدبية انتقال عدوى الرومانسية الغربية إلى الشعر الجزائري الحديث، خاصة بعد زوال حساسية من كل ما هو استعماري من طرف الشعراء الجزائريين وأصبح اللقاء مع الغرب أقل توترا وأكثر تواصلا، حين «صدرت مجلة هنا الجزائر عن الإذاعة الفرنسية، وراحت توجه عناية خاصة بالأدب الفرنسي، وأصبح ذلك هدفا من أهدافها، فقد صرحت في افتتاحية عددها الأول أنه "من أعز الأماني التي تصبو إليها أن تعرض على القراء ألوانا من الأدب الغربي بما يعربه الأدباء من انتاج الكتاب الفرنسيين... وغايتها من هذا إلفات نظر الأدباء إلى ما يحدث في زمنهم من تيارات أدبية جديدة واتجاهات فكرية غنية...»[47]، فكان لهذه المجلة أثر عميق في نقل مبادئ التيار الأدبي الرومانسي إلى شعرنا الجزائري، وقد تجلت في بعض النصوص الشعرية عند الشعراء الجزائريين الذين اطلعوا على النتاج الشعري الغربي المعرب فتولدت لديهم نظرة جديدة لم يكن للشعر الجزائري بها عهد ،..تجربة الشعراء الغربيين الرواد أمثال فيكتور هيجو، ولامرتين، وموسيه

وغيرهم، الذين كان لهم الفضل في تمهيد الطريق وأخصبوا التربة أمام الشعراء الرومانسيين في المشرق في وقت مبكر، ويقول الناقد: "فقد وجد إلى جانب الرافد ذي الطابع الوجداني العربي، رافد يستقي من الآداب الأجنبية أيضا، ومن الأدب الرومانسي بصفة خاصة"[48]وهنا أقبل الشعراء الشباب المجددين بعد الحرب العالمية الثانية الذين كانوا أكثر على اطلاع على الأدب الرومانسي الغربي، وأكثر وعيا بخصاصه وأبعاده الفلسفية والفنية، أمثال عبد الله شريط والطاهر بوشوشي، ومحمد الأخضر السائحي...، «ويجيء على رأسهم الشاعر الطاهر بوشوشي الذي كان من ألمع الكتاب بهذه المجلة، وهو شاعر وجداني مغرم بالأدب الفرنسي متأثر، معجب بأعلامه، فقد كان كثير القراءة لأدب فيكتور هيجو، ولامرتين، وموسيه، وهو يعلل شغفه بالأدب المكتوب بالفرنسية بكونه النافذة الوحيدة التي يطل من خلالها على الأدب العالمي، وكان مشدود لهذا الأدب الفرنسي بما فيه من حرية في التعبير والتصوير.»[49].." الطاهر بوشوشي الذي تغلب عليه النزعة الرومانسية، كان له دورا هائلا في تطوير الشعر الرومانسي الجزائري، حي توجه في تجربته الشعرية اتجاها ذاتيا، ويقف الناقد في قصيدته "آية الصحو" التي يصف فيها مناظر الحياة المتفجرة مع خيوط الشمس، ويطلق لخياله العنان ويمزج المنظر الطبيعي بإحساسه المرهف وآلامه النفسية، ومواجعه اتجاه من يحب، فيعدّه الناقد من الشعراء الجزائريين الأوائل تطويرا لصوره الشعرية الوجدانية، المستلهمة من الطبيعة التي اتخذها ملهما لصوره الشعرية وهذا التمثل الواعي للخيال الرومانسي عند "بوشوشي" يعود إلى تشربه الواضح للشعر الرومانسي الأوروبي والعربي، وتأثره بهما إلى أبعد حدود التأثر.."[50]، كما يشير الناقد في محاولته البحث عن الحقائق داخل النصوص الشعرية وهي من صلب المنهج التاريخي وتسجيله حياة العملية الابداعية في جوانب المبدع والظاهرة الأدبية، ليثبت أن الشاعر بوشوشي قد "استفاد من المنهج الأسطوري في أعماله الشعرية التي كتبها بعد مرحلة الاستقلال، فقد التفت إلى أسطورة "بجماليون" ووظفها في شعره، يقول الناقد: ونجد الطاهر بوشوشي يكتب قصيدة عن المثال (بجماليون) يصف فيها معاناة الفنان بين الروح والمادة، والمثال الواقع...غير أنها تجربة لم تتسم بالنضج الفني، لأن أصحابها كانوا في دور التجريب"[51]، «وهو من المعجبين بشعر الشاعر الفرنسي فيكتور هيجو ..." والحق أن فكتور هيجو كان وما يزال ملأ سمع الزمن وبصره فهو كزميله العربي أبي الطيب المتنبي ممن تسمع كلماته من به صمم، وهو من الشعراء العماليق الذين يجرون لا يجرى معهم... وفي

إحياء ذكراهم إسوة لأبناء هذا العصر على الاقتداء بهم، والاطلاع على آثارهم والاقتباس من نورهم...»[52].

"وقد قدمت مجلة "هنا الجزائر" نماذج من شعر فكتور هيجو معربة بأقلام الشعراء الجزائريين تعريبا روعي فيه الوزن والقافية، ومن ذلك قطعة "التجلي" التي عربها الطاهر بوشوشي."[53]، والملاحظ أن الناقد قد بحث عن البيئة والظروف المحيطة بالمبدع ومراحل ثقافته وشخصيته، قصد التعرف على أبرز المؤثرات الحياتية والثقافية في تكوينه الرومانسي وبلورة شخصيته الشعرية الوجدانية، وهذا جوهر المنهج التاريخي.

النتائج:

رأينا في هذا المقال بعض ملامح الرؤية التاريخية التي استعان بها الناقد محمد ناصر في دراسته للاتجاه الرومانسي الوجداني في الشعر الجزائري الحديث، وتتجسد هذه الرؤية التي بحث الناقد من خلالها عن مدى تأثر هؤلاء الشعراء في:

- ✓ توفيق الناقد التاريخي محمد ناصر في الربط بين توجه الشاعر رمضان حمود نحو التجديد في الشعر الجزائري الحديث والأوضاع السياسية والثقافية التي كان لها سلطان على الشعر الجزائري، كما كان لها الدور الهام في نبوغ الشاعر في الاتجاه الرومانسي الوجداني، واستعان في ذلك بالبحث عن الاستعدادات الفطرية لدى الشاعر رمضان حمود المتمثلة في حسه المرهف وتقديسه للذات الفردية ..، أن رمضان حمود ثمرة بيئته ونتاج مجموعة الظروف التي أحاطت به.
- ✓ استطاع الناقد محمد ناصر أن يربط بين بين حياة المبدع الجزائري الشاعر الرومانسي أبو القاسم سعد الله الذي كان له دور كبير في تطور الشعر الرومانسي في الجزائر، وحياة النص الجزائري الذي شهد تطور ملموس على مستوى الشكل والمضمون، فقد أثبت من خلال تمثل الرؤية التاريخية تأثير الشعر الرومانسي في تكوين ثقافة الشاعر سعد الله الرائدة في الشعر الحر في الجزائر.
- ✓ استطاع الناقد محمد ناصر أن يربط بين بين حياة المبدع الجزائري الشاعر الرومانسي أبو القاسم سعد الله الذي كان له دور كبير في تطور الشعر الرومانسي في الجزائر، وحياة النص الجزائري الذي شهد تطور ملموس على مستوى الشكل والمضمون، فقد أثبت من

خلال تمثل الرؤية التاريخية تأثير الشعر الرومانسي في تكوين ثقافة الشاعر سعد الله الرائدة في الشعر الحر في الجزائر.

- ✓ كما حاول الناقد أن يتخذ من المنهج التاريخي وسيلة لدراسة شخصية الشاعر الرومانسي الوجداني الطاهر بوشوشي، وقد ردّ طموحه في توجهه للاتجاه الرومانسي إلى تأثره الشعر الغربي والشعراء الفرنسيين، فقد استطاع الناقد أن يبحث عن نقاط الالتقاء الثقافات الأجنبية بالشعر الجزائري الحديث بما تحمله من أفكار واتجاهات أدبية جديدة أثرت ..، وهذا يدل على قدرة الناقد وسعة اطلاعه بالآداب الأجنبية.

وأخيرا فقد وفق الناقد في الاهتمام بشخصية الشعراء الجزائريين، والمحيط الثقافي العربي والغربي الذي ساهم في ظهور الاتجاه الرومانسي في الشعر الجزائري الحديث، دون أن يغيب الجانب الفني المتمثل في دراسته، فقد أحسن الناقد الاستفادة من هذه الرؤية التاريخية التي كان لها دور مهم في التمهيد للدراسة الفنية في كتابه "الشعر الجزائري الحديث –اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)"من أجل الكشف عن الخصائص الفنية لدى الشعراء الجزائريين.

هوامش الدراسة:

[1] ينظر: حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، ط2، يناير 1985، ص46.

[2] جابر عصفور، المرايا المتجاورة، دراسات أدبية، دراسة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1983، ص142.

[3] يوسف وغليسي ، النقد الجزائري المعاصر من اللالسونية إلى الألسنية، رابطة الإبداع الثقافية، دط، 2002، ص28.

[4] أحمد الشايب،أصول النقد الأدبي، ملتزم النشر والطبع، القاهرة، ط 10، 1994، ص52.53.

[5] عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب، تونس، د ط، 1994، ص79.

[*] الناقد الدكتور محمد صالح ناصر المولود بالقرارة بمزاب (غرداية) في الجزائر في عام 1938م، فهو شخصية قل أن يجود الزمان بمثلها، إنه الأديب والشاعر، والمفكر والمؤرخ والمفسر والناقد والمحقق في آن واحد، نظم الشعر منذ نعومة أظافره بعد أن حفظ كتاب الله العزيز واستظهره بالمسجد الكبير بالقرارة سنة 1954م، اشتغل أستاذا بالجامعة الجزائرية، وقام بتدريس مقاييس تتعلق بالأدب والنقد مثل: الأدب الجاهلي، الأدب الإسلامي، والأدب العباسي، والأدب الجزائري الحديث، التيارات الأدبية الحديثة، وهو أحد أقطاب جيل الستينيات في النقد الجزائري الحديث، فقد أثرى المكتبة الجزائرية والعربية بالعديد من المؤلفات في الأدب والنقد أهمها: كتاب الشّعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975م)- كتاب المقالة الصحفية الجزائرية (1903-1931م)- كتاب حداثة أم ردّة.

[6]لانسون ومايبه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، د ط ، 2015، ص20.

[7] ينظر: حسان علاق، مقدمة في مناهج التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1986، ص 27،28.

[8] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص15.

[9] أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ملتزم للنشر والطبع، القاهرة، ط1994،10، ص52،53.

[10] ينظر: قطب سيد ، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، دار الشروق،ط6، 1990، ص152.

[11]صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1997، ص 251.

[12] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها وتاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص17.

[13] هلال محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر ، القاهرة،، د ط، 1997، ص313.

[14] ينظر: وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، دار الفكر، دمشق، ط1، 2009، ص26.

[15]صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص26-27.

[16] ينظر: عبد المجيد حنون، المدرسة التاريخية في النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، ط2005،6، ص313.

[17]مرجع نفسه، ص312.

[18] ينظر: محسن الكندي، «قراءة تحليلية لمرجعيات منهج النقد التاريخي»، مجلة نزوى، العدد11، يوليو 1997، ص 97.

[19] ينظر: ابراهيم العسافين، مناهج النقد الأدبي، جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط1، 1997، ص72.

[20] ينظر: مرجع نفسه، ص 74

[21] ينظر: جابر عصفور، المرايا المتجاورة، ص 53.

[22] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللالسونية إلى الألسنية، ص 21.

[23] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 08.

[24] ينظر: يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي، ص26

[25] جمال قديد، «تاريخية النقد الجزائري الحديث»، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد5، 2016، ص125.

[26] محمد ناصر، هموم جزائرية، عنوان المقابلة «حول الأدب والنقد»، المحاور: إبراهيم روماني، ص13.

[27]لانسون ومايبه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة محمد مندور، ص39.

[28]صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص26.

[29] محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي،ط1، 1998، الجمهورية التونسية، ص110.

[30] ينظر: ينظر محمد صالح ناصر، هموم جزائرية، عنوان المقابلة «حول الأدب والنقد» المحاور ابراهيم رماني،ص 38.

[31] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية(1925-1975م) ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006،، ص88.

[32] ينظر: ينظر ناصر محمد ، هموم جزائرية، عنوان المقابلة «حول الأدب والنقد» المحاور ابراهيم رماني، ص38.
[33] لانسون ومايبه، منهج البحث والأدب واللغة، ترجمة: محمد مندور، ص 30.
[34] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص89.90
[35] المرجع نفسه، ص 88.
[36] ينظر: المرجع نفسه، ص 216و333.
[37] المرجع نفسه، ص41 (نقلا عن رمضان حمود، الفتى، المطبعة الأهلية، تونس، 1929، ص20.)
[38] المرجع نفسه ، ص 79.
[39] ينظر: المرجع نفسه، ص
[40] ينظر: نفسه ، ص96 -156-157.
[41] المرجع نفسه، ص 105. (نقلا عن مصطفى الأشرف، تأثير النزعة التجديدية،المباحث، ع13، (أبريل 1945)).
[42] ينظر: المرجع نفسه، ص219-216.
[43] نفسه، ص 217.
[44] المرجع نفسه، ص 106.(نقلا عن حوار الناقد مع الدكتور سعد الله بتاريخ 1982/1/29)
[45] المرجع نفسه، ص153. نقلا عن د. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص47.
[46] نفسه، ص157.نقلا عن سعد الله، في التجربة الأدبية، ص3.
[47] المرجع نفسه، ص117-118.
[48] المرجع نفسه، ص 114.
[49] نفسه، ص 120. (نقلا عن حوار الناقد مع الشاعر طاهر بوشوشي ب:1980/10/04).
[50] ينظر: المرجع نفسه، ص508-509.
[51] المرجع نفسه، ص576.
[52] نفسه، ص 119.
[53] نفسه، ص119. نقلا عن مجلة هنا الجزائر، ع 15(جويلية 1953)، ص10.

- **قائمة المصادر والمراجع**

1- **جابر عصفور، المرايا المتجاورة، دراسات أدبية، دراسة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1983.**
2- **حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، ط2، يناير 1985.**
3- **يوسف وغليسي ، النقد الجزائري المعاصر من اللالسونية إلى الألسنية، رابطة الإبداع الثقافية، دط، 2002.**
4- **أحمد الشايب ،أصول النقد الأدبي، ، ملتزم للنشر والطبع، القاهرة، ط 10، 1994.**
5- **عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب، تونس، (د ط)، 1994.**
6- **لانسون ومايبه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، د ط ، 2015**

7- حسان علاق، مقدمة في مناهج التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1986.
8- قطب سيد ، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، دار الشروق،ط6، 1990.
9- وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، دار الفكر، دمشق، ط1، 2009.
10- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها وتاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2007
11- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،دت ط،1997.
12- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1997.
13- عبد المجيد حنون، المدرسة التاريخية في النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، ط6،2005.
14- محسن الكندي، «قراءة تحليلية لمرجعيات منهج النقد التاريخي»، مجلة نزوى، العدد11، يوليو 1997.
15- : ابراهيم العسافين، مناهج النقد الأدبي، جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط1، 1997.
16- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
17- جمال قديد، «تاريخية النقد الجزائري الحديث»، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد5، 2016.
18- محمد ناصر، هموم جزائرية، عنوان المقابلة «حول الأدب والنقد»، المحاور: إبراهيم روماني، من(مقابلات صحفية مع الناقد، 1983-1991م، نسخة أصلية معدّة للطبع).
19- محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ، دار محمد علي الحامي، صفاقس، الجمهورية التونسية ،ط1،1998.
20- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية(1925-1975م) ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006.